

### فنون علم البديع

عرفنا من المقدمة السابقة في نشأة البديع وتطوره أن عبد الله بن المعتز هو أول من قام بمحاولة علمية جادة في سبيل تأسيس علم البديع وتحديد مباحثه التي كانت من قبل مختلطة بمباحث علم المعاني وعلم البيان .

وتتمثل محاولته هذه في كتاب «البديع» الذي ألفه وضمنه ثمانية عشر فنًا من فنون البديع . وقد مهدت محاولته السبيل أمام البلاغيين من بعده فتأثروا بها وأفادوا منها في تطوير هذا العلم واستكمال مباحثه وقضاياها .

فقدامة بن جعفر وهو من معاصري ابن المعتز أولى البديع اهتمامه وزاد فيه تسعة أنواع جديدة . وأبو هلال العسكري اعتمد ما أتى به ابن المعتز وقدامة من فنون البديع وأضاف إليها حتى بلغت عنده سبعة وثلاثين نوعًا ، ثم جاء ابن رشيق القيرواني فزاد على من تقدموه تسعة أنواع لم يرد لها ذكر عندهم .

وهكذا أخذت فنون البديع تنمو وتتكاثر على تعاقب الأجيال والعصور حتى بلغت في القرن الثامن الهجري عند الشاعر صفي الدين الحلي مائة وخمسة وأربعين محسنًا بديعيًا .

وهذه المحسنات يقصد بها تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ، ورعاية وضوح الدلالة بخلوها عن التعقيد المعنوي .

والمحسنات البديعية ضربان: معنوية ترجع إلى تحسين المعنى أولاً وبالذات وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضًا .

وضرب لفظي يرجع إلى تحسين اللفظ أصلاً ، وإن تبع ذلك تحسين المعنى لأن المعنى إن عبر عنه بلفظ حسن استتبع ذلك زيادة في تحسين المعنى وليس من غرضنا هنا التوسع في دراسة المحسنات البديعية إلى حد الإلمام بها جميعها وإنما الغرض هو التركيز على أهم هذه المحسنات للتعرف عليها وبيان أثرها في تحسين الكلام لفظيًا ومعنويًا .

ولما كانت المعاني هي الأصل والألفاظ توابع وقوالب لها ، فإننا نبدأ بدراسة المحسنات المعنوية .

## المحسنات البديعية المعنوية

## المطابقة:

ويقال لها أيضاً: التطبيق، والطباق، والتضاد.

والمطابقة في أصل الوضع اللغوي أن يضع البعير رجله موضع يده فإذا فعل ذلك قيل: طابق البعير.

قال الأصمعي: المطابقة أصلها وضع الرجل موضع اليد في مشي ذوات الأربع. وقال الخليل بن أحمد: طابقت بين الشيتين، إذا جمعت بينهما على حد واحد.

وليس بين التسمية اللغوية والتسمية الاصطلاحية أدنى مناسبة، ذلك لأن المطابقة أو الطباق في اصطلاح رجال البديع هي: الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده في كلام أو بيت شعر كالجمع بين اسمين متضادين من مثل: النهار والليل، والبياض والسواد، والحسن والقبح، والشجاعة والجبن، وكالجمع بين فعلين متضادين مثل يظهر ويظن، ويسعد ويشقى، ويعز ويذل، ويحيي ويميت. كذلك كالجمع بين حرفين متضادين، نحو قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] بين حرفي الجر «اللام» و«على» مطابقة، لأن في «اللام» معنى المنفعة وفي «على» معنى المضرة، وهما متضادان ومثله قول الشاعر:

على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا علي ولا ليا

وقد تكون المطابقة بين نوعين مختلفين كقوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَآخِيْنَهُ﴾

[الانعام: ١٢٢] فإن أحد المتضادين اسم وهو «ميثًا» والآخر فعل وهو «فآخييناه».

وقال زكي الدين بن أبي الأصعب المصري: المطابقة ضربان: ضرب يأتي بالفاظ الحقيقة. وضرب يأتي بالفاظ المجاز.

١- فالضرب الذي يأتي بالفاظ الحقيقة هو ما يسمى المطابقة أو الطباق ومن أمثله قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَصْحَكَ وَأَنْتَ هُوَ أَمَاتَ وَأَمَاتَ وَأَمَاتَ﴾ [النجم: ٤٣-٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [الأنعام: ١٧]، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢]، وقوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨] ومنه قول النبي ﷺ: «فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشيبه للكبر، ومن الحياة

للموت، فالذي نفس محمد بيده ما بعد الحياة مستعَب (١)، ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة والنار.

ومن شواهد المطابقة الحقيقية شعراً قول الحماسي:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد      نفسي حياة مثل أن أتقدما  
وقول آخر:

لئن ساءني أن نلتني بمساءة      لقد سرنني أني خطرت ببالك

٢ - والضرب الذي يأتي بألفاظ المجاز يسميه قدامة بن جعفر «التكافؤ» ومنه قول الشاعر:

حلو الشمائل وهو مر باسل      يحمي الدمار صبيحة الإرهاق

فقوله «حلو ومر» يجري مجرى الاستعارة، إذ ليس في الإنسان ولا في شمائله ما يذاق بحاسة الذوق.

ومنه أيضاً قول الشاعر:

إذا نحن سرنا بين شرق ومغرب      تحرك يقظان التراب ونائمه

فالمطابقة هي بين «اليقظان والنائم»، ونسبتهما إلى التراب على سبيل المجاز وهذا هو «التكافؤ» عند قدامة وابن أبي الأصبع. أما المطابقة عند قدامة ومن اتبعه فهي اجتماع المعنيين المختلفين في لفظة واحدة مكررة، كقول زياد الأعجم:

وتبئتهم يستنصرون بكاهل      وللؤم فيهم كاهل وسنام

فاللفظة المكررة هنا هي «كاهل» ومعناها في الشطر الأول من البيت «مَنْ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الملمات، يقال: فلان كاهل بني فلان أي معتمدهم في الملمات وسندهم في المهمات». وهي في الشطر الثاني: مُقَدَّمُ أَعْلَى الظهر مما يلي العنق.

أنواع المطابقة:

والمطابقة ثلاثة أنواع:

مطابقة الإيجاب.

مطابقة السلب.

وإيهام التضاد.

(١) استرضاء؛ لأن الأعمال بطلت وانقضت زمانها وقيل: رجوع عن الخطأ والذنب وطلب للرضا.